خاتم الأنبياء والمرسلين

محمد ﷺ

خير الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد :
أنزل الله تعالى عليه الكتاب مقترناً بالحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وأعطى جوامع الكلام: وأعطاه الحق عز شأنه من المعجزات مثل ما أعطى الأنبياء جميعهم وزيادة: فهو .

أكثر الأنبياء معجزات وسنورد في هذا البحث مقارنة بين معجزاته ومعجزات الأنبياء: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد خاتم الأنبياء
صلى الله عليه وآله وسلم

النبي المصطفى ﷺ الرسول العربي وهو خامس الأنبياء أولي العزم وخاتم الأنبياء جميعا، وببعثته ونزول القرآن اكتمل دين الله لن يبعث بعده نبي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سبق وأن ذكرنا بأن لإبراهيم ولدين وهما إسماعيل وإسحاق وقد وصل مجموعه من نسلهم لدرجه النبوة والزعامة، ومن إسحاق الذي كان من كنعان ولد يعقوب الذي يُلقب بإسرائيل، وأنبياء بني إسرائيل من يعقوب، أما أجداد النبي الخاتم فقد كانوا من نسل إسماعيل وكل واحد منهم كان يتولى إدارة شؤون الكعبة في عصره. وكانوا معززين بين الناس، حيث سكنوا مكة التي كانت تعتبر مركزا لشبه الجزيرة العربية، وهناك وفى جهات أخرى كانت تنتشر الضلالة، وكان لكل قبيلة من القبائل العربية عادات وتقاليد حيث أن قسماً منهم كانوا يعبدون الأصنام، وقد أقاموا تماثيل لأصنامهم في الكعبة وكان عباد الله يتألملون من ذلك وليس إلا النصائح يقدمونها لهؤلاء الضالين إلى أن جاء عصر رسالة الرسول الأكرم حيث انتهت عبادة الأصنام.

أما جدّ الرسول فهو هاشم من مشاهير التاريخ ومن قبيلة قريش وابنه عبد المطلب كان له ولد اسمه عبد الله هو والد الرسول الأكرم ﷺ الذي اصطفاه سبحانه وتعالى ليبعثه إلى العالم

كافة وإلى آخر الزمان فالرسول ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

ولد الرسول الأكرم ﷺ في 17 ربيع الأول من سنة 569 من التاريخ المسيحي من أم اسمها آمنة وكانت ولادته بعد مرور عدة أشهر على ارتحال والده من الدنيا، فجاء محمد ﷺ إلى الدنيا يتيماً، وسمّي عام ولادته بعام الفيل حيث قام أبرهة حاكم اليمن في تلك السنة بالهجوم على مكة بالفيل حيث كان يبغي هدمها وقد أهلك الله سبحانه وتعالى أصحاب الفيل بأن أرسل عليهم طيراً من أبابيل ترميهم بحجارة من سجِّيل فجعلهم كعُصف مأكول.

وعندما ولد محمد ﷺ أقام عبد المطلب احتفالاً أسمى فيه الوليد السعيد محمداً ومعناه المحبوب، وقد تعهد عبد المطلب بإدارة شؤون عائلة عبد الله، وفي ذلك الزمان كانت عادة وجوه قريش هي إرسال مواليدهم إلى البادية ليرضعوا الحليب من مرضعات من نساء عرب البادية وذلك لكي ينشأ الطفل في ذلك المناخ الطيب ويتعلم اللسان العربي الفصيح، وحسب هذه العادة فقد انتخبوا امرأة من أشراف وأعف نساء قبيلة بني سعد، وتسمى حليمة السعدية وذلك لتقوم بإرضاعه ورعايته؛ ولأن حليمة رأت السعادة والبركة في وجود محمد ﷺ عندها لذا فإنها حرصت على إبقائه عندها ست سنوات، وكانت تأتى به كل سنة إلى مكة لتمدد عقدها مع أهله، وبعدها وحسب طلب أمه آمنة بنت وهب فقد عادوا به إلى مكة ليعيش قرب أمه، وبعد مدة سافرت أمنه إلى

المدينة لزيارة أقربائها وكان بصحبتها محمد وبقيا في المدينة مدة بعدها رجعا فمرضت آمنة في الطريق وفارقت الحياة في الأبواء وهو منزل بين مكة والمدينة حيث قامت أم أيمن خادمتها ومن معها برعاية محمد ﷺ الذي كان عمره آنذاك اكثر من ست سنوات، وآتوا به وسلموه إلى جده عبد المطلب.

وفي تلك الأثناء كان عمر عبد المطلب قد وصل إلى المائة سنة توفّي في ذلك الوقت فأوصى بأن يقوم عم محمد بالقيام بتربيته فأخذ أبو طالب محمداً وكان ناشئاً إلى منزله وأخذ يتفانى في رعايته وتربيته، وكان في أوضاع محمد آثار وصفات عظيمة فى الجلال والفصاحة والبلاغة والحكمة كانت ظاهرة عليه، وكلما تحدث معه أحد أحس بحلاوة أخلاقه وسلوكه المحبوب ووقع تحت تأثير كلامه اللطيف.

وفي سن الثالثة عشر سافر محمد ﷺ مع عمه (أبو طالب) في قافلة إلى الشام، وهناك وفي طريقهم التقوا براهب في دير حيث تأثر بحديث محمد ومنزلته، وقال الراهب لعمه (أبو طالب) وحسبما قرأت في الكتب السماوية فإن هذا الطفل سيصل إلى مكانة مرموقة في الدين فيجب حفظه من الأعداء.

وازدادت رعاية أبو طالب لمحمد الذي يعرف مكانته جيداً. ومن تلك السنة فقد سافر محمد ﷺ في تجارة لأبي طالب عدة مرات وعاد بأرباح وفوائد كثيرة.

ولأنه اشتهر بين الناس بالصدق والإحسان والأمانة ففي سن 25 سنة استدعه إحدى سيدات مكة وهي خديجة بنت خويلد وذلك لترسله بتجارة إلى الشام واستجاب لها وسافر ورجع وربح ربحاً كثيراً، فأثنت خديجة على صدقه وأمانته وعندما علم أبو طالب بأن هناك ميلاً من خديجة للاقتران بمحمد ﷺ أقنعه بذلك وذهب مع كبار قريش وذلك لخطبتها وزواجها من محمد ﷺ وكان سن محمد آنذاك 25 سنة وسن خديجة 40 سنه، وكان أهل مكة فرحين من اقتران خديجة بمحمد من أصحاب الأموال والذين تقدموا للزواج من خديجة فلم يجدوا موافقة منها.

فقالوا: لقد أذلتنا خديجة فقد فضلت هذا اليتيم علينا ولكنهم لم يجدوا في سلوك محمد وخديجة حجة يتشبثون بها لكي ينتقدوا هذا الزواج، فقصرت ألسنتهم عن ذكر أي شيء إلا كون محمد يتيماً.

لقد عرف محمد ﷺ بين الناس بالأمانة والصدق بحيث صار مضرباً للأمثال، وعند حدوث نزاع بين القبائل كانوا يختارونه حكماً بينهم لأنهم يعلمون بأن أقواله وأعماله مبنية على العدل والحكمة.

ومن بين تلك الحوادث كانت حادثة تجدد بناء الكعبة حيث اختلفت القبائل على من سيكون له شرف رفع الحجر الأسود ووضعه في محله، وكانت كل قبيلة من القبائل تحب أن تكون صاحبة هذا الشرف فحدث اختلاف وجدال بين القبائل، وأخيراً اقترح أحد كبار القبائل بأن يكون محمد حاكما بينهم واتفقوا جميعا

على ذلك لأنهم يعلمون بأن محمداً أمين ولا يقول إلا الحق، فقال محمد ﷺ: «**إذا رضيتم بحكمي فسوف أكون حاكما بينكم؟**».

فقالوا: نحن نرضى بحكمك. ففرش رداءه على الأرض ووضع الحجر عليه وقال: «**الآن ليأخذ كل رئيس عشيرة بطرف من الرداء**» وعندما أوصلوه إلى مكان معين أخذه بيده الشريفة ووضعه في محله، وقد نال هذا الحكم رضا الجميع حيث إنهم اشتركوا جميعاً في شرف رفع الحجر وتعلموا درساً كبيراً في التعاون، وبين 25 - 40 سنة كان محمد يترك مكة أحياناً ليذهب إلى غار - جبل - حراء وذلك للخلوة والعبادة والتفكير، ولما بلغ الأربعين بعثه الله نبياً فنزل عليه جبريل بأول آية من القرآن من سورة العلق وأمره بالقراءة في الوقت الذي كان فيه الرسول أمياً ولم يتعلم من أحد، وقد وقع هذا الأمر في السابع والعشرين من رجب حيث يعتبر يوم المبعث الشريف وعندها نزل عليه الكتاب ازداد علمه بحيث أصبح أعلم من في الأرض ومن ذلك الوقت جاء الأمر إلى الرسول بأن يبلغ رسالته إلى الأقربين من قومه، وأول من أسلم وآمن بدين محمد من النساء خديجة الكبرى ومن الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في سن العاشرة آنذاك، وبعد مدة نزل إليه الأمر بأن يبلغ دعوته إلى الناس كافة فلم يؤمن به إلا قليل من الصالحين، وأما المشركين وعبدة الأصنام فقد خالفوا وأخذوا يناصبونه البغض والعداوة ويدعونه بالساحر والكذاب والمجنون أذوه أذى شديد، وكان عمه أبو طالب محترماً بين

العرب وقد نصحوه بأن لا يكون عونا لمحمد ولكن أبا طالب لم يأبه لكلامهم وأخذ يدافع عنه بما يستطيع، وأما أبو جهل الذي كان رئيس القبيلة وكذلك أبو لهب يعادون النبي إلى حد أن سورة زجر وتقريع نزلت بحق أبى لهب.

أما آيات القرآن فقد أخذت تؤثر تأثيراً كبيراً في قلوب الصالحين لأنها كانت أبلغ وأفصح من كل ما سمعوه وقرءوه، بحيث أصبح الشعراء والخطباء العرب في حيرة من فصاحة القرآن وبلاغته، وكان القرآن أكبر معجزة للرسول ﷺ وقد تحدى كل الخلق بأن يأتوا بآية من آياته.

وعندما آمن جمع من أهل المدينة وأخذ أهل مكة يضاعفون من أذاهم للمسلمين وكانوا ينوون قتل النبي في وقت ارتحل فيه أبو طالب إلى رحمة الله نزل الأمر إلى الرسول بأن يهاجر وأنصاره إلى المدينة في السنة الثالثة عشر بعد البعثة، وقد أنشئوا هناك قاعدة محكمة للدين. والسنة التي هاجر فيها النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أصبحت بداية التاريخ الإسلامي يعرف بالتاريخ الهجري.

وفي المدينة أخذت دعائم الإسلام تقوى وتترسخ يوماً بعد يوم وخاض المسلمون حروباً عديدة ضد كفار قريش وضد اليهود وتتوج جهادهم بفتح مكة وطهروا بيت الله من دنس الأوثان، وبقى مركز الإسلام في المدينة، وصارت أحكام القرآن هي الحاكمة على أرض الجزيرة العربية وبعدها أخذت تنتشر إلى كافة البلدان

والأمصار، وفي السنة العاشرة للهجرة الثالثة والعشرون للبعثة حج الرسول الأكرم ﷺ آخر حجة له، وعند الرجوع إلى المدينة أوصى المسلمين بولاية علي عليه السلام وذلك في مكان يقال له غدير خم في خطبة مشهورة، ونزلت البشرى بتمام الدين، وبعد هذا السفر وتلك الحجة التي سميت حجة الوداع ارتحل الرسول ﷺ إلى بارئه وذلك في الثامن والعشرين من صفر وقد بلغ عمره الشريف 63 سنة، وقد ختمت رسالات الأنبياء جميعاً.

والى انتهاء الخليفة برسالة الرسول محمد ﷺ وأصبح دين الإسلام الوسيلة لهداية البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة وإلى قيام الساعة.

محمد ﷺ مولده وشرف نسبه وكرم نشأته :

ولد ﷺ في صباح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل على المشهور وكان مولده بمكة أشرف البلاد وأكرمها على الله سبحانه وتعالى.

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم وبشارة عيسى وصفوة سلالة قريش وأشرف العرب بدواً وحضراً وأفضلهم بيتا وأعزهم نفراً لم يزل ﷺ ينتقل من خير الأباء حتى انتهى إلى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ثم الذي أبيه عبد الله والد المصطفي أشرف الناس نسباً عجماً وعرباً.

شب رسول الله ﷺ والله يحرسه ويرعاه ويحفظه من أدناس

الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته فجعله أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسبا وأعظمهم جواراً.

محمد ﷺ أفضل المرسلين:

وانفرد ﷺ من الأنبياء والرسل بأن معاصريه قد وقفوا على جميع خلاله وأخلاقه الخاصة والعامة ثم تناقلها الناس جيلا بعد جيل واضحة لا خفاء فيها ولا لبس فهو الرسول التاريخي بالمعنى الصحيح؛ لأن سيرته من مولده إلى مماته ثابتة ثبوتا لا مرية فيه وهذا هو سر أن محمداً أفضل المرسلين وأرفعهم شأناً وأعلاهم قدراً به بين الشمائل والأعمال ما فهم العالم قدر النبوة والأنبياء.

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات
وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات

تحت هذا العنوان ذكر الإمام القسطلاني كيف أن رسول الله محمداً ﷺ قد فاق الأنبياء في معجزاته كمًّا وكيفًا في العدد والقدرة والرفعة والسمو.

فالله تعالى خص نبينا بأشياء لم يعطها لنبي قبله، وما خُص نبي بشيء إلا وكان سيدنا محمد ﷺ مثله بل أكثر منه.

خلق آدم عليه السلام وخلق محمد ﷺ:

إذا كان آدم خلقة الله بيده فقد أعطى سيدنا محمد شرح صدره، وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي.

السجود لآدم وفضله عليه ﷺ:

أما سجود الملائكة لآدم فكان تكريماً لـه وطاعة لله ﷻ.

كذلك قال الله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (1).

فهذا تكريم ورفع مكانة للنبي ﷺ من الله وملائكته، ومن الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بين محمد ﷺ وإدريس عليه السلام:

فإذا كان إدريس رفع إلى السماء كما قال الله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (2).

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ المعراج ورفع إلى مكان لم ولن يرفع إليه غيره.

بين نوح عليه السلام ومحمد ﷺ:

وأما نوح عليه السلام فنجاه الله تعالى ومن آمن به من الغرق، ونجاه من الخسف.

فقد أعطى سيدنا محمداً ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء.

(1) الأحزاب: 56.
(2) مريم: 56، 57.

قال الله تعالى:{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ} (1).

بين إبراهيم الخليل ومحمد الأمين عليهما الصلاة وأفضل التسليم:

وأما إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت عليه نار النمرود برداً وسلاماً.

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه ﷺ وناهيك بنار حطبها السيوف، ووهجها الحتوف، وموقدها الحسد، ومطلبها الروح والجسد، قال الله تعالى:{كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ} (2).

روى النسائي أن محمد بن حاطب قال: كنت طفلاً فانصب علىَّ القِدْر واحترق جلدي كله فحملني أبي إلى رسول الله ﷺ فتفل في جلدي ومسح المحترق وقال: «**اذهب الباس رب الناس**» فصرت صحيحاً لا بأس بي.

- وأما ما أعطيه إبراهيم عليه السلام من مقام الخلة. فقد أعطيه نبياً محمد ﷺ وزاد بمقام المحبة.

وقد روى في حديث الشفاعة أن الخليل إذا قيل لـه: اتخذ الله خليلاً فاشفع لنا. قال: إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اذهبوا إلى غيري - إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ - فيقول: «**أنا لها، أنا لها**».

(1) الأنفال: 33.
(2) المائدة: 64.

- ومما أعطيه إبراهيم عليه الصلوات والتسليم انفراده في أهل الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للأصنام يكسرها.

- فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ كسرها بأسرها بمحضر من أصحاب نصرها بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة ربانية ومادة إلهية اجتزأ فيها بالأنفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول كما قال إبراهيم، بل جهر جهراً بغير سر:**{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}** (1).

- ومما أعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بناء البيت الحرام ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الأسود، بل هو سويداء القلب، ولقد جاء في الحديث: «**أنه يمين الرب فمن مسحه فكأنما بايع الله**» وهو تمثيل ولله المثل الأعلى.

وقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أن قريشاً لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق إلا مواضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل، فكان هو رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين فحكموه في ذلك، فأمر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال: «**يرفع كل بطن من قريش بطرف فرفعوه جميعاً ثم أخذه سيدنا محمد ﷺ فوضعه في مكانه**».

فادخر الله ذلك المقام ليكون منقبة لـه على مدى الأيام.

بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ:

(1) الإسراء: 81.

- وأما ما أعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة.

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ حنين الجذع.

فقد كان في المسجد جزع شجرة ميتة يخطب عليها، ولما صنع لـه المنبر تركوه فحن الجزع حتى بكى واستلمه ﷺ حتى سكن.

وقد حكى الإمام الرازي وغيره أنه: لما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين، ففر هارباً.

وأما ما أعطيه موسى أيضاً من اليد البيضاء وكان بياضها يغشي البصر.

فقد أعطى ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجون وقال: «**انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك ومن خلفك عشراً فإذا دخلت بيتك فستري سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان**» فانطلق فأضاء لـه العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج. رواه أبو نعيم. والمعلوم أن كرامة الولي معجزة لنبيه.

ومما أعطيه موسى عليه السلام من انفلاق البحر لـه.

فقد أعطى نبينا محمد ﷺ انشقاق القمر.

ومما أعطيه موسى عليه السلام إجابة دعائه.

فقد أعطى نبينا محمد العشرات من الإجابات كما مر قريباً.

ومما أعطية موسى عليه السلام تفجير الماء لـه من الحجارة.

أعطى سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه.

وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء، ولم تجر العادة أن الماء من اللحم.

ومما أعطيه موسى عليه السلام أنه كلم الله لـه على الطور.

فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو والتدلي وكان فوق السماوات العُلى.

بين هارون عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان.

فقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهله، وقد أُتي جوامع الكلم أيضا ﷺ [1].

بين يوسف عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك ثلاث منامات: حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدة لـه، والثاني منام صاحبي السجن، والثالث منام الملك.

وقد أعطى نبينا من ذلك ما لا يدخله الحصر.

(1) اقرأ المجازات النبوية للشريف الرضى. تحقيق / طه عبد الرءوف سعد. لتتأكد من صدق قولنا.

ومن أمثاله: أن رأى في يديه سوارين فكرههما فنفخهما فطارا، فأولهما كذابين بعده يدعان النبوة: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي. لعنها الله تعالى.

بين داود عليه السلام ومحمد ﷺ :

أما ما أعطى داود عليه السلام من تليين الحديد لـه.

فأعطي نبينا ﷺ أن العود اليابس اخضر في يده، ومسح شاة أم معبد العجفاء فبرئت ودرت باللبن.

بين سليمان عليه السلام ومحمد ﷺ :

أما ما أعطيه سليمان عليه السلام من كلام الطير وتسخر الشيطان والريح والملك الذي لم يعطيه أحد من بعده.

فقد أعطى نبيناً ﷺ مثل ذلك وزيادة:

- أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر.

- وسبح في كفه الحصى وهو جماد.

وكلمه ذراع الشاة المسمومة التي قدمته زينب بنت مشكم لـه ﷺ ومات منه البراء ابن المعرور.

- وكذلك كلمه الظبي.

- وشكا لـه البعير من إهانة صاحبه لـه وتجويعه إلى غير ذلك مما يطول ذكره، وإنما نحن هنا نضرب أمثلة.

- وأما الريح التي كان غدوها شهراً ورواحها شهراً تحمله

أين أراد من أقطار الأرض.

فقد أعطى ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح، بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من فراشه ﷺ إلى حيث انتهى من مكة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماوات إلى سدرة المنتهى.

كان ذلك في أقل من ساعة زمانية.

ويقول أهل الفلك: إن المسافة تلك سبعة آلاف سنة.

وتلك مسافة السماوات فقط، أما إلى المستوى الذي وصل إليه فذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

- وأيضاً الريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض.

ونبينا ﷺ زويت لـه الأرض - أي جمعت لـه - حتى رأى مشارقها ومغاربها.

والفرق بين الوضعين واضح، فلا نسبة بين من سعى إلى الأرض وبين من تسعى لـه الأرض صلى الله عليك وسلم يا أشرف الخلق.

- وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين.

فقد روى أن أحد الشياطين اعترض سيدنا محمداً ﷺ وهو في الصلاة، فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد.

وخير ما أوتيه سليمان من ذلك تسخير الجن.

وما أوتيه رسولنا ﷺ من ذلك إيمان الجن.

فسليمان استخدمهم، ومحمد ﷺ استسلمهم.

أما عد الجن من جنود سليمان في قولـه تعالى:{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (1).

فخيرٌ منه عند الملائكة، جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة عليهم السلام من جملة أجناده. فقد ثبت أن الملائكة حاربت معه ﷺ في أكثر من غزوة.

- وأما ما اعطيه سليمان عليه السلام من الملك.

فنبينا عليه الصلاة السلام خيَّر بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً، فأختار ﷺ أن يكون نبيّاً عبداً تواضعاً.

بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى:

فأعطى سيدنا محمد ﷺ أنه رد عين قتادة بن النعمان إلى مكانها حينما سقطت على وجنته، فكانت أحسن عينيه.

وأما ما أعطى عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما يخفيه الناس في البيوت: فقد أعطى نبياً ﷺ ما لا يحصي من ذلك.

وأما ما أعطى عيسى من رفعه إلى السماء:

فقد أعطى نبينا ﷺ ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد

(1) النمل: 17.

الدرجات ﷺ

من معجزاته ﷺ استجابة دعائه ﷺ :

وهذا نوع آخر من معجزاته ﷺ هو استجابة دعائه عليه الصلاة والسلام.

ونقدم هنا بعض الحالات التي استجاب الله تعالى فيها دعائه ﷺ:

فقد دعا ﷺ لأنس فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك لـه فيما أعطيته**» رواه البخاري.

وفي «**الأدب المفرد للبخاري**» عن أنس قال: قالت أم سليم - وهي أم أنس - : خويدمك ألا تدعو لـه؟ فقال: «**اللـهم أكثر ماله وولـده، وأطل حياته، واغفر لـه**». (رواه مسلم والترمذي وأحمد).

وفي الصحيح: أن أنساً كان في الهجرة ابن تسع سنين، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل، وقيل: سنة ثلاث ولـه مائة وثلاث سنين. قاله خليفة وهو المعتمد.

وأما كثرة ولده، فروى مسلم قال أنس: «**فوالله إن مالي لكثير، وأن ولدي وولد ولدي ليعادُّون على نحو المائة اليوم**».

وورد في حديث رواه الشيخان أن أنساً قال: أخبرتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون.

وقال ابن قتيبة في (المعارف): كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم ولده مائة لصلبه: أبو بكرة، وخليفة بن بدر، وأنس، وزاد غيره رابعاً: وهو الملهب بن أبى صفرة.

وأخرج ابن سعد عن أنس قال: دعا لي النبي ﷺ: «**اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر لـه**» فقد دفنت من صلبي مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة (مغفرة الله تعالى لـه).

ودعا ﷺ لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك لـه في ولده، فولده لـه ثمانـون ولداً.

وأرسل ﷺ إلى يوم خيبر، وكان أرمد، فتفل في عينه وقال: «**اللهم أذهب عنه الحر والبرد**» قال: فما وجدتُ حرّاً ولا برداً منذ ذلك اليوم، ولا رمدت عيناي.

وبعث ﷺ عليا إلى اليمن قاضيا قال: يا رسول الله لا علم لي بالقضاء، فقال: «**أدن مني**» فدنا منه وضرب بيده على صدره وقال: «**اللهم اهد قلبه وثبت لسانه**»، قال على: فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين. رواه أبو داود وغيره.

وعاد ﷺ عليّاً من مرض فقال: «**اللهم اشفه، اللهم عافه**» ثم قال: «**قم**» قال علي: فما عاد لي الوجع بعد. رواه الحاكم وصححه البيهقي.

ودعا ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين، اللهم أعط ابن**

عباس الحكمة وعلمه التأويل» رواه البغوي وابن سعد.

وفي البخاري: «**اللهم علمه الكتاب**» فكان عالماً بالكتاب، حبر الأمة، بحر العلم، رئيس المفسرين، ترجمان القرآن، وكونه في الدرجة العليا والمحل الأقصى لا يخفى.

وقال ﷺ للنابغة الجعدي لما قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن لـــه ::: بوادر تحمي صـــفوة أن يكـــدرا
ولا خير في علم إذا لم يكـــن له ::: حكيم إذا ما أورد الأمـــر أصدرا

«**لا يغضصن الله فاك**» أي لا يسقط الله أسنانك، قال فأتي عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغراً. رواه البيهقي وقال فيه: فلقد رأيته أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب لـه سن.

وسقاه ﷺ عمرو بن أخطب ماء في قدح قوارير، فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها، فقال: «**اللهم جَمِّله**» فبلغ ثلاثاً وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء وليس في لحيته شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم.

وقال ﷺ لابن الحمق الخزاعي، وقد سقاه ﷺ: «**اللهم متعه بشبابه**» فمرت عليه ثمانون سنه ولم ير شعرة بيضاء. رواه أبو نعيم وغيره.

ودعا ﷺ لعروة بن الجعد البارقي فقال: «**اللهم بارك في صفقة يمينه**» قال: فما اشتريت شيئاً إلا وربحت فيه.

وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل، وضرب في صدره وقال: «**اللهم ثبته واجعله هادياً مهديّاً**» قال فما وقعت عن فرسي بعدُ.

وقال لسعد بن أبي وقاص: «**اللهم أجب دعوته**». فكان مجاب الدعوة. رواه البيهقي والطبراني في الأوسط.

ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة. رواه الشيخان عن أنس، زاد البيهقي من وجه آخر، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة. الحديث.

ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز - وهو الدم بالوبر - حتى استعطفه قريش.

ولما تلا ﷺ**{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** [1] قال عتيبة بن أبي لهب: كفرت برب النجم، قال ﷺ: «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**» فخرج عتيبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا بالشام زأر أسد، فجعلت فرائصه ترعد، فقيل لـه: من أى شىء ترتعد؟ فوالله ما نحن وأنت فى هذا إلا سواء فقال: إن محمداً دعا عليَّ، ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يديه فيه حتى جاء النوم، فأحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فمضغه مضغة،

(1) النجم: 1.

وهو يقول: ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس ومات ذكره يعقوب الإسفرايني.

وعن مازن الطائي - وكان بأرض عمان - قلت: يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء، وألحت علينا السنون، فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال، وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويأتيني بالحياء، ويهب لي ولداً فقال ﷺ: «**اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وائته بالحياء، وهب لـه ولداً**» قال مازن: فأذهب الله كل ما كنت أجد، وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن. رواه البيهقي. وأكل رجل عنده بشماله فقال: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**» فما رفعها إلى فيه بعدُ والرجل هو بسر ابن راعى العير.

وكان معاوية رديفه يوماً فقال: «**يا معاوية، ما يليني منك؟**» قال: بطني قال: «**اللهم املأه علماً وحلماً**» رواه البخاري في تاريخه.

وقال لابن ثروان: «**اللهم أطل شقاءه وبقاءه**» فأدرك شيخاً كبيرا شقيا يتمنى الموت.

وأما حديث أبي هريرة عند البخاري: أن الرسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها، وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتي في الآخرة**».

فقد استشكل ظاهرة بما ذكرناه، وبما وقع لنبينا ولكثير من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة، فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط.

وأجيب: بأن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الإجابة. وقيل: معنى قولـه: «**لكل نبي دعوة** ». أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى. وقيل: لكم منها دعوة عامه مستجابة فى أمته، إما بإهلاكها وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب. وقيل: لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه ولنفسه، كقول نوح:{رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [1]، وقول زكريا:{فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [2] وقول سليمان:{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [3].

وفي الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء، حيث اثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها دعاء عليها بالهلاك كما وقع لغيره، صلوات الله وسلامه عليهم.

وظاهر الحديث يقتضي أنه ﷺ أخَّر الدعاء والشفاعة يوم القيامة، فذلك اليوم يدعو ويشفع، ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة

(1) نوح: 26.
(2) مريم: 5، 6.
(3) ص: 35.

تلك الدعوة ومنفعتها، وأما طلبها فحصل من النبى ﷺ فى الدنيا (حكاه صاحب مزيد الفتح).

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعوا لأمه فيهديها الله، فدعا لها، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب، فلما فرغت قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ﷺ وسأله أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين، فدعا لهما، فحصل ذلك، قال أبو هريرة: فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبنا. (أخرجه البخاري).

من معجزاته ﷺ التزام الجبل لأمره ﷺ :

عن أنس رضى الله عنه قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُداً فرجفت بهم فضرب النبي ﷺ برجله وقال: «**اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**». رواه البخاري وأحمد والترمذى وأبو حاتم.

قال ابن المنير: قيل: الحكمة في ذلك انه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب، وهذه هزة الطرب (السرور) ولهذا نص على مقام النبوة والصدَّيقين والشهادة لعمر وعثمان رضى الله عنهما التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه، فاقر الجبل فاستقر.

من معجزاته ﷺ انقياد الشجر له ﷺ :

عن جابر بن عبد الله قال: ذات يوم أراد النبي ﷺ أن يقضي حاجته، فنظر فلم يرى شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق إلى أحدهما فأخذ من أغصانها وقال لها: «**انقادي على بإذن الله**» فانقادت عليه كالبعير يمشي خلف قائده ثم فعل بالثانية ما فعل بالأولى حتى كان بالمنتصف قال لهما: «**التئما على بإذن الله**»، فالتأمتا عليه بإذن الله فلما فرغ من قضاء حاجته أمرهما فعادت كل واحدة مكانها.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدنا منه أعرابي فقال لـه: «**أين تريد؟**» فقال الأعرابي: ذاهب إلى أهلي، فقال النبي ﷺ: «**هل لك خير من ذلك؟**» قال الأعرابي: وما هو؟ فقال النبي ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» فقال الأعرابي: ومن يشهد لك يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه الشجرة التي بشاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك**»، وقال لها: رسول الله يدعوك، فذهب الأعرابي للشجرة يميناً وشمالاً ومن أمامها ومن خلفها حتى تقطعت عروقها وأقبلت تخد الأرض خداً تجر عروقها حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ: فقالت، السلام عليك يا رسول الله، فرد الرسول السلام واستشهدها، فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم رجعت إلى مكانها، فقال الأعرابي: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله ﷺ. (رواه الإمام أحمد).

من معجزاته ﷺ شكاية الجمل له ﷺ :

عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلى الحديث لا أحدث به أحد من الناس، قال: وكان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه - وفي رواية: فسكن- ثم قال ﷺ: «**من رب هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يارسول الله، فقال: «**ألا تتقي الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه) في العمل**». (الحاكم في المستدرك على الصحيحين).

كلام الذئب بشهادته له ﷺ :

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، ثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: عدا (هجم) الذئب على شاة فأخذها الراعي، فانتزعها منه، فاقعي الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتقي الله تنزع منى رزقا ساقه الله إلى؟ فقال: يا عجبي، ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى الرسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع**

الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» (أخرجه أحمد والبيهقي).

من معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده الشريفة ﷺ :

عن أبي ذر رضى الله عنه قال: كنت جالسا بجوار النبي ﷺ وحوله أبو بكر وعمر وعثمان وبين يديه سبع حصيات فأخذهن النبي ﷺ في كفه فسبحن حتى سمعت لهن طنيناً كطنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن أبو بكر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن عمر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي: «**هذه خلافة النبوة**» (رواه البيهقي).

من معجزاته ﷺ حنين الجذع له ﷺ :

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس، فجاء رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبر له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد رسول الله ﷺ على المنبر جأر الجذع كجؤور الثور، حتى ارتج المسجد لجؤاره حزناً على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله وهو يجأر، فلما التزمه سكت، ثم قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله**» فأمر به ﷺ فدفن (رواه البخاري).

والحمد لله أولا وأخيرا وصلاة وسلاما على المبعوث هاديا

مبشرا ونذيراً على آله وصحبه وسلم.

خادم القرآن

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر